العلاقة بين العلم والإيمان والمساهمة في إعطاء معنى للوجود من خلال جهود العلامة النورسي

أ. خالد محجوب(*)

مقدمة:

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى ومن لآثاره اقتفى وبعد:

لا شك أن الطرح الذي قدمه العلامة سعيد النورسي حول التعليم والإيمان، يرتبط ارتباطا وثيقا بخصوصية الأوضاع التي عاشتها تركيا في عهده، حيث كان أعداء الخلافة آنذاك يعلمون يقينا أن السبيل الوحيد لبسط هيمنتهم ونفوذهم على الأمة الإسلامية في تركيا هو إبعادها عن دينها قدر المستطاع، وقد رأوا أن أنسب طريقة لتحقيق ذلك تتم عبر عمليتين متزامنتين:

الأولى: التعامل مع العلوم الدينية بأسلوب التضييق وسن القوانين الردعية.

الثانية: نزع رداء الإيمان عن العلوم المادية والكونية "علمنة المعارف".

فإذا ما تم لها ذلك، صار الطريق ممهدا أمام علمنة المجتمع وسلخه من دينه، وبالتالي فلن تكون ثمة صعوبة في استحماره واستلابه باسم المدنية والتطور، لأن وجوده على تلك الحالة يصبح عاريا من معناه، إذ لا معنى للمجتمع المسلم بدون دين ينسحب على كل مجالات حياته، ذلك أن الأمر ببساطة متناهية يكمن في أن الدين هو الذي أوجد هذا المجتمع، وأخرجه من دائرة العدم الحضاري إلى منصة الشهود

(*) جامعة الجزائر – الجزائر. kh.mahdjoub@gmail.com

الحضاري بما تحمله هذه الكلمة من معاني الخلافة لله وهداية الناس وتسخير الكون بكل مقدراته ومستودعاته.

وقد تفطن العلامة النورسي لخطورة هذا الوضع منذ بدايته، فأعلن حربه عليه من خلال رسائل النور التي كان يبثها في المجتمع بواسطة طلبته والخيرين من أبناء وطنه، والتي كان يروم من خلالها تحقيق هدفين أساسيين فيما يتعلق بالتعليم أرادت قوى الشر طمسهما وهما:

الأول: أسلمة المعارف الكونية وجعلها خادمة لقضية الإيمان.

الثاني: إصلاح المعارف الدينية عن طريق إخضاعها للحكمة والتدقيق وجعلها موافقة لحاجات العصر بعيدة عن الأهواء أو التمييع.

لهذا جاءت المداخلة للكشف عن جهود الأستاذ النورسي في إثبات العلاقة بين العلم والإيمان وكيف يؤدي الفهم الصحيح لهما إلى المساهمة في إعطاء معنى للوجود والحياة، وذلك وفق الخطة الآتية:

مدخل/ حال التعليم في عهد النورسي

المبحث الأول/ وقفة مع مفردات (العلم، الإيمان، الوجود)

المبحث الثاني/ العلم والوظيفة الإيمانية للإنسان

المبحث الثالث/ علاقة الإيمان بالعلوم الكونية

مدخل: حال التعليم في عهد النورسي

ذكرت في مقدمة هذا البحث بأن حال التعليم في عهد النورسي قد تأثر إلى حد بعيد بالأوضاع السياسية التي كانت سائدة في تركيا آنذاك، حيث سيطر أنصار العلمانية والتغريب على مقاليد الحكم، وكان أول ما بدؤوا به من مشاريع هو إزالة مظاهر الإسلام من المجتمع التركي في جوانبه المختلفة، وخاصة الجانب المفصلي في حياة أي مجتمع وهو جانب الحياة التعليمية والتربوية، لكونه الباب الذي يمكن الولوج منه للتأثير في شخصية الإنسان وتوجيهها الوجهة المرادة من قبل صناع المنظومة التربوية والتعليمية في إطار النهج السياسي السائد في تركيا آنذاك، والذي كان متأثرا إلى حد

بعيد بالمدنية الغربية القائمة على فصل الدين عن جوانب الحياة المختلفة وحصره في ممارسات طقوسية محددة وعلاقة ضيقة بين الفرد وخالقه.

وقد ظهرت آثار هذه المدنية في المجتمع التركي بعد إلغاء الخلافة العثمانية مباشرة، حيث قام حكام البلد بمنع الحجاب وإغلاق المدارس الدينية ومنع الأذان بالعربية وألغيت الحروف العربية وموورس التضييق والتعذيب في حق العلماء وأئمة الدين فكان منهم من قُتل ومنهم من شُرد وفر من البلد، وبقي العلامة النورسي فيمن بقي يواجه عواصف التغريب ومحاربة الإسلام برسائله النورية القرآنية التي كان يبثها سرا في المجتمع التركي من خلال طلبته والخيرين من أبناء الأمة في ذلك الوقت، وهاهو يحدثنا عما كان يعانيه الطلبة من غربة دينية في مدارس الدولة وجامعاتها حيث يقول: "جاءني فريق من طلاب الثانوية في "قسطموني" قائلين: عرّفنا بخالقنا، فإن مدرسينا لا يذكرون الله لنا[١]!". فقلت لهم: إن كل علم من العلوم التي تقرؤونها يبحث عن الله دوما، ويعرّف بالخالق الكريم بلغته الخاصة. فأصغوا إلى تلك العلوم دون المدرسين..[٢]

والحقيقة أن الأمر لم يتوقف عند حد تهميش العلوم الدينية الإسلامية في الثانويات وغيرها من مراكز التعليم، بل تجاوزه إلى مستوى تهديد الإيمان باسم العلم بإظهار العداوة المزعومة بين العلم والدين، والتي اُعتبرت أساس الإصلاح الديني في أوربا في عصر النهضة الحديثة وفي هذا يقول الأستاذ: "أما في الوقت الحاضر فقد مدّت الضلالة باسم العلم يدها إلى أسس الإيمان وأركانه"[٣] والسبب في ذلك عائد في تركيا إلى ازدواجية الموقف الذي أبدته الحكومة العلمانية التي أعلنت الحياد ظاهرا ولكنها لم تنفك تحارب الدين وأهله وتمكن لأهل الضلالة والانحلال والسفاهة من اعتلاء المنابر الإعلامية ونشر أفكارهم الهدامة وسمومهم المخدرة للشعوب الغافلة، وهذا دأب العملاء في كل زمان ومكان، وقد كشف الأستاذ عن هذا التلاعب في محكمة "أسكي شهر" أمام المدعي العام وأعضاء المحكمة حين قال لهم: "أما إن كان سؤالكم حول

---

(١) تحدث الأستاذ عن هذه القضية في رسالته المطولة إلى سكرتير حزب الشعب الجمهوري الحاكم في تركيا اعتراضا منه على التوجه العلماني التغريبي للحكومة التركية والرسالة منشورة في ملحق أميرداغ ص٣٠٤-٣٧٠

(٢) الشعاعات ص ٢٥٧

(٣) المكتوبات

الجمهورية العلمانية فان ما أعلمه هو أن معنى العلمانية هو البقاء على الحياد، فكما لا تتعرض مثل هذه الحكومة للملحدين ولأهل السفاهة بحجة حرية الضمير فيجب ألا تتعرض لأهل الدين ولأهل التقوى."[١]

ثم إن هناك مصيبة أخرى تضاف إلى المصائب التي ألمت بالتعليم الهدائي، وهي اشتغال المسلمين بالقضايا الخلافية الهامشية نقدا واعتراضا وردودا، وردودا على الردود التي بدأت منذ فجر الإسلام ولم تنته إلى اليوم، وقد أحس الأستاذ بهذا العائق الكبير الذي وقف سدا منيعا أمام أية محاولة لتوحيد الصف الإسلامي، فوجه خطابه للذين يحصرون وظيفة التعليم في نقد الموالف وتتبع عثراته وترك العدو المخالف قائلا: "إن ترك "سراج اوغلو"[٢] الذي يعدّ الدين والتربية المحمدية سماً زعافاً، والانشغال بمجموعة "سراج النور" التي تبين الحقيقة واضحة كالشمس وهى البلسم الشافي لجراحات الإنسانية جمعاء، ....إننا مع عدم امتعاضنا من انتقاداتكم الجزئية ننتظر منكم أيها العلماء الأفاضل ضماداً لجراحاتنا وتكونوا أعوانا لنا بقوة فراستكم"[٣].

كما يخاطب علماء عصره بقوله: "نحن مضطرون إلى نبذ الاختلاف في الأمور الفرعية وعدم جعلها مدار المناقشات"[٤].

في وسط هذه الإكراهات والمعوقات راح النورسي يبث رسائله النورية لإعادة النور إلى هذه الأمة السائحة في الظلام الدامس، ولقد لاقى في سبيل ذلك عنتا وأذى كبيرا فسُجن ونُفي وشُرد وحوكم بسبب تهم كثيرة يجمعها أصل واحد هو دفاعه عن الإيمان والتعليم الهدائي حيث يقول: "لقد عدّوا تفسيري للآيات القرآنية الصريحة حول الحجاب والإرث وذكر الله وتعدد الزوجات، وقيامي برد الاعتراضات المثارة ضدها من قبل المدنية الغربية الحالية رداً مفحماً.. عدّوا ذلك إحدى التهم الموجهة إلي"[٥] ومن بين المحاكمات الكثيرة التي تعرض لها المحاكمة العسكرية التي أقيمت له بسبب

---

(١) الشعاعات ص٤٢٦

(٢) رئيس الوزراء في ذلك الوقت

(٣) الشعاعات ص٤٨١

(٤) المدر السابق ص٤٧٩

(٥) الشعاعات ص٥٠٣

دعوته إلى إصلاح التعليم وتأسيس جامعة إسلامية باسم مدرسة الزهراء[١] حيث يقول عن تلك المحاكمة:

"في الأيام الأولى من التحقيق سألوني مثلما سألوا غيري: "وأنت أيضا قد طالبت بالشريعة"! قلت: لو كان لي ألف روح، لكنت مستعداً لأن أضحي بها في سبيل حقيقة واحدة من حقائق الشريعة، إذ الشريعة سبب السعادة وهي العدالة المحضة وهي الفضيلة. أقول: الشريعة الحقة لا كما يطالب بها المتمردون"[٢].

ويقول أيضا: "وعندما نتعرض – نحن طلاب النور –إلى ظلم الظالمين ونحن نؤدي خدماتنا في سبيل الإيمان والإسلام فإننا نفضل أن نسلم الروح في السجون وعلى أعواد المشانق وليس على فراش الراحة. لأننا نعدّ الموت ظلماً في السجون – بسبب خدمتنا القرآنية – فضلاً إلهيا كبيراً، ونفضل هذا الموت على العيش في حياة ظاهرها الحرية وباطنها وحقيقتها استبداد مطلق"[٣].

المبحث الأول: وقفة مع المصطلحات الثلاث (العلم، الإيمان، الوجود)

تدور هذه المداخلة حول ثلاث كلمات مركزية هي العلم والإيمان والوجود، ولذلك رأيت أنه من المناسب أن يكون المبحث الأول مخصصا لبيان معاني وأبعاد هذه الكلمات في فكر العلامة النورسي، الذي ما فتئ يذكرها في مؤلفاته ذكرا كثيرا، بحيث لا تكاد تجد صفحة من صفحات رسائله تخلوا من أحدها أو منها مجتمعة، والسبب في ذلك حسب تصوري يرجع المنهج الذي سار عليه الشيخ في حياته العلمية القديمة والجديدة، وهو منهج يقوم على التعامل مع الثلاثية الاستفهامية المشهورة لدى العقلاء من أين وإلى أين وبماذا ولماذا؟ والتي يمكن اختصار الإجابة عنها في إطار رسائل النور بثلاثية الوجود والعلم والإيمان.

---

(١) سعى الأستاذ النورسي طوال حياته لإقامة هذه المدرسة التي تدمج فيها الدراسة الدينية والعلمية معاً، حتى وضع حجرها الأساس سنة ١٩١١ قرب بحيرة «وان». إلا أن ظروف الحرب العالمية الأولى حالت دون إتمام المشروع. اللمعات ص٣٩٤

(٢) صيقل الإسلام ص٤٤٠

(٣) الشعاعات ص٥٩٨

١- العلم

تعد كلمة العلم من المفردات المركزية الحاضرة بقوة في مؤلفات النورسي، والسبب في ذلك أن البعد الإصلاحي في دعوته الرامي إلى إنقاذ الإيمان يقتضي ذلك، إذ لا إصلاح بدون علم، والعلم عند النورسي على ضربين علم إلهي وعلم بشري ولكل منهما خصائصه وأوصافه التي تميزه عن الآخر.

١- ١: العلم الإلهي

العلم الإلهي له كل خصائص الكمال، وهو صفة ذاتية لله عز وجل يستحيل انفكاكه أو خلوه منها: "إن الصانع الجليل الذي يوجد ويتصرف بأفعاله الظاهرة في هذا الكون، له علم محيط بكل شئ، وان ذلك العلم خاصّة لازمة ضرورية لذاته الجليلة، محال انفكاكه عنها، إذ كما لا يتصور وجود ذات الشمس بلا ضياء، كذلك الصانع الجليل الذي اوجد هذه الموجودات بانتظام رائع - لا يمكن بألوف المرات – أن ينفك علمه عنه"[١]. ولهذا العلم الأزلي الأبدي آثار تتجلى في الصور الآتية:

١- ١- ١: نظام الكون

النظام الموجود في الكون دال بلسان حاله على "العلم المحيط"[٢] لموجده وفي هذا يقول النورسي:

"إن الذي يدير أمر هذا الكون هو الذي يحافظ على كل شيء فيه ضمن نظام وميزان. والنظام والميزان هما مظهران من مظاهر العلم والحكمة مع الإرادة والقدرة"[٣] ويقول: "وهذا النظام كما هو مشاهد، في ثنايا "ميزان " دقيق حسّاس، يدل على"العِلم" ويبينه ويبرزه"[٤]

١- ١- ٢: تنظيم الموجودات

يستحيل أن يكون تنظيم هذه الموجودات الكثيرة في العالم على تضادها وتناقضها واختلاف ماهياتها عن عشوائية وصدفة، ولذلك فإن الذي يتحكم في هذا التنظيم لابد أن يكون موصوفا بالعلم حتى يقدر لكل موجود حاجته وظروف وجوده قال الله عز

(١) المكتوبات ص٣١٣

(٢) قانون العلم المحيط انظر الكلمات ص ٦٦٤

(٣) الكلمات ص٨٢

(٤) الكلمات ص ٨٠٣

وجل: ﴿وَمَا مِن دَابَّة فِي الأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ (هود: ٦) فهذا التقدير التنظيمي - إن جاز التعبير- دال بلسان حاله على العلم الإلهي الواسع يقول النورسي: "وكذا، فان جميع الدلائل التي تشهد على العلم الإلهي الذي تُشاهَد آثاره من تنظيم الموجودات".[١]

١- ١- ٣: الحدوث والتغير

إن حدوث الكائنات وتغير أحوالها وفق نظام دقيق متسق دال بلسان حاله أيضا على أن علم المتحكم فيه علم مطلق شامل "ثم إن تحويل الأطعمة المتنوعة- سواء الحيوانية أو النباتية – إلى جسم خاص بنظام كامل دقيق، ونسج جلد خاص للكائن وأجهزة معينة من تلك المواد المتعددة لا شك أنه عمل قدير على كل شيء وعليم مطلق العلم"[٢].

١- ١- ٤: الجمال

الجمال والحسن الموجود في الكون أثر من آثار العلم الإلهي "وكذا العناية والتزيين في الموجودات تشيران ابيضا إلى ذلك العلم المحيط، لان الذي يعمل باللطف والعناية، لابد أنه يعلم، وانه يعمل بعلم...وكذا جميع العنايات والتزيينات تشير إلى ذلك العلم. لأن الذي يخلق مصنوعاته بمكيال وميزان وتقدير وإتقان، لاشك انه يعمل ما يشاء مستنداً إلى علم قوي"[٣].

١- ١- ٥: الحياة والموت

تعاقب الحياة والموت في هذا العالم وفق نظام دقيق أثر واضح من آثار العلم الإلهي المطلق، ذلك أن ما نراه مثلا موتا لنوع من النبات في فصل الخريف بعد سقوط الأوراق والثمار يعد وفق العلم الإلهي مقدمة لحياة أبهى وأجمل ستظهر آثارها في فصل الربيع الذي سيعقبه، "وكذا وفاة جميع ذوي الحياة بآجالها المعقودة بقانون من التعيّن – مع تسترها بعنوان الإبهام – تدل على علم محيط بكل شئ، لان اجل كل طائفة من طوائف ذوي الحياة معيّن في زمن محدود بين حدّين، وان كان لا يشاهد ظاهراً وقتٌ معين لحلول آجال أفرادها. لذا فالحفاظ على نتاج ذلك الشيء وثمرته

---

(١) الكلمات ص١١٧ اللمعات ص ٥٦٦

(٢) الكلمات ص٣٢٨

(٣) المكتوبات ص ٣١٤

ونواته بعد حلول اجله يديم وظيفته عقبه، ويحول تلك الثمرات والنوى إلى حياة جديدة، إنما يدل على ذلك العلم المحيط أيضا"[١].

ومن جهة أخرى يعد النورسي القدر نوعا من أنواع العلم الإلهي الذي يؤيد الاختيار البشري ولا يبطله، وفي هذا رد على أدعياء الجبر الذين اتخذوا من القدر مشجبا يعلقون عليه كسلهم في الواجبات وجرأتهم على المنهيات، كما أن فيه ردا على أدعياء الحرية الخارجة عن أطر العلم الإلهي، والذين نسبوا الجهل بالجزئيات وبوقوع الأشياء قبل وقوعها إلى علم الله عز وجل يقول النورسي: " القدر نوع من العلم الإلهي، وقد تعلق العلم الإلهي باختيارنا، ولهذا يؤيد الاختيار ولا يبطله... وهكذا فالقدر الإلهي لكونه من العلم الأزلي، والعلم الأزلي في مقام رفيع يضم كل ما كان وما يكون، ويحيط به" كما يُعبّر عنه في الحديث الشريف[٢]، لذا لا نكون نحن ولا محاكماتنا العقلية خارجَين عن هذا العلم قطعاً، حتى نتصوره مرآة تقع في مسافة الماضي"[٣].

١- ٢: العلم البشري

١- ٢- ١: تعريفه

يعرف النورسي العلم بقوله: "هو الصورة الحاصلة من الشيء عند العقل وهي إما تصور أو تصديق"[٤]. وهذا تعريف خاص للعلم والأعم منه أن يقال: "هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع"[٥]

١- ٢- ٢: أهمية العلم للإنسان

يعد تحصيل العلم لدى الإنسان مقصدا إلهيا وفق مشرب النورسي، بل يعتبره "الوظيفة الفطرية" التي أنيطت بالإنسان قبل خلقه، وهي وظيفة التكمل بالتعلم والترقي عن طريق اكتساب العلوم والمعارف المختلفة "إذن فلقد جئ بهذا الإنسان إلى هذا العالم لأجل أن يتكامل بالمعرفة والدعاء؛ لأن كل شيء فيه موجَّه إلى العلم ومتعلقٌ

---

(١) المكتوبات ص٣١٥

(٢) حديث القلم رواه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رقم٢٦٥٣

(٣) المكتوبات ص٥٤٥/٥٤٦

(٤) صيقل الإسلام ص٢٤٤

(٥) كتاب التعريفات الجرجاني ص١٧٠ دار الإيمان الإسكندرية ط/٢٠٠٤م

بالمعرفة حسبَ الماهية والاستعداد[١] والأصل أن يكون علم البشر كله موجه نحو غاية واحدة هي خدمة الإيمان وأي علم يخرج عن هذا الأصل فإن عده من العلم خطأ جسيم بل هو الضلال بعينه وفي هذا المعنى يقول النورسي: "هكذا تبين مما سبق بأن طريق الضلالة يردي الإنسان إلى أسفل سافلين، إلى حد تعجز أية مدنية كانت وأية فلسفة كانت عن إيجاد حل له، بل يعجز الرقي البشري وما بلغه من مراتب العلم عن إخراجه من تلك الظلمات السحيقة التي في الضلالة"[٢].

والعلم النافع للإنسان هو ما يستقر في القلب بإزاء الإيمان لذلك يقول النورسي: "إن العلم هو ما يستقر في القلب، فلو استقر في العقل وحده لا يكون ملك الإنسان".[٣]

ويرى النورسي كغيره من علماء الإسلام أن القرآن الكريم قد طفح بالدعوة إلى العلم وإعمال العقل ولا أدل على ذلك من الآيات الكثيرة المتضافرة في هذا السياق والمعنى حيث يقول: "ثم إن أوائل أكثر الآيات القرآنية وخواتمها، تحيل الإنسان إلى العقل قائلة: راجع عقلك وفكرك أيها الإنسان وشاورهما، حتى يتبين لك صدق هذه الحقيقة. فانظروا مثلاً إلى قوله تعالى: فاعلموا.. فاعلم.. أفلا يعقلون.. أفلم ينظروا.. أفلا يتذكرون.. أفلا يتدبرون.. فاعتبروا يا أولي الأبصار.. وأمثالها من الآيات التي تخاطب العقل البشري. فهي تسأل: لِمَ تتركون العلم وتختارون طريق الجهل؟ لِمَ تعصُبون عيونَكم وتتعامَوْن عن رؤية الحق؟ ما الذي حملكم على الجنون وانتم عقلاء؟ أي شيء منعكم من التفكر والتدبّر في أحداث الحياة، فلا تعتبرون ولا تهتدون إلى الطريق المستقيم؟ لماذا لا تتأملون ولا تحكّمون عقولكم لئلا تضلوا؟[٤].

٢/ الإيمان

٢- ١/مفهوم الإيمان عند النورسي

يتعامل النورسي مع مفهوم كلمة الإيمان في ظل الإطار العام لمدرسة أهل السنة، مستجيبا في الوقت ذاته إلى الإكراهات الواقعية التي فرضت نفسها على الساحة العثمانية آنذاك، وأهمها على الإطلاق الدعوات الإلحادية التي شككت في وجود الله عز

(١) انظر الكلمات ص٣٥٥

(٢) المصدر السابق٧٦١

(٣) المكتوبات ص٥٩٩

(٤) صيقل الإسلام ص ٤٩٥

وجل لذلك تجده يكرر في أكثر من موطن بأن الإيمان هو التصديق مع اليقين بوجود الله عز وجل يقول في ذلك مثلا: "إن الإيمان هو التصديق مع اليقين."[١]

يقول الإمام البزدوي: "الإيمان هو التصديق في اللغة بلا ريب قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ (يوسف: ١٧) أي ما أنت بمصدق لنا ولما كان الإيمان تصديقا في اللغة يجب أن يكون تصديقا في الشريعة وهو التصديق بالقلب والتصديق باللسان وهو الاعتقاد بالقلب فإن الله تعالى هو المستحق للألوهية ولا إله سواه نعتقد تعظيمه ونعتقد جميع صفاته ونصدق الأنبياء عليهم السلام فيما جاؤوا به من عند الله بالقلب ونعتقد جميع أركان الإسلام ونقر بذلك كله فكان الإيمان إقرارا باللسان واعتقادا بالقلب وهو تصديق كله... وجه قول أهل السنة والجماعة أن الإيمان هو التصديق والتصديق كما يكون بالقلب يكون باللسان وباللسان أبلغ فيكون كل واحد منهما ركنا من الباب فلا يوجد الإيمان إلا بهما إلا عند الضرورة والعجز."[٢]

ويقول الإمام الطحاوي: "والإيمان هو الإقرار باللسان والتصديق بالجنان وجميع ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم من الشرع والبيان كله حق والإيمان واحد وأهله في أصله سواء والتفاضل بينهم بالخشية والتقوى ومخالفة الهوى وملازمة الأولى"[٣]

ثم إن المطلوب من عموم المكلفين أن يؤمنوا بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم إيمانا مفصلا في القضايا المحكمة الواضحة ومجملا في القضايا المتشابهة خاصة ما تعلق منها بصفات الله عز وجل وأخبار الغيب بأن يعتقدوا أن ما جاء به حق من عند الله عز وجل ولو حارت فيه عقولهم وفي هذا يقول النورسي: "واعلم أن الإيمان هو النور الحاصل بالتصديق بجميع ما جاء به النبي عليه السلام تفصيلا في ضروريات الدين وإجمالا في غيرها"[٤].

يظهر من خلال ما نقلناه من أقوال أن النورسي يميل إلى رأي الأحناف والماتوردية في مسألة الإيمان، حيث أنهم يقولون بأن الإيمان هو الإقرار باللسان والتصديق بالجنان

---

(١) إشارات الإعجاز ص٦٧

(٢) أصول الدين الإمام البزدوي تح هانز بيتر لنس ص ١٤٨ /١٥١ المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة ط/١٤٢٤ه-٢٠٠٣م

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ابن أبي العز الحنفي تح أحمد محمد شاكر ص٢٦٥ دار التراث القاهرة

(٤) إشارات الإعجاز ص٥١

دون العمل الذي يعده الجمهور من الأركان، ولا شك أن هذا الخلاف يعد صوريا كما ذكره كثير من المحققين، لأن الجميع متفقون على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج من الإيمان، وهو في مشيئة الله، كما اتفقوا على أن الإنسان لو صدق بقلبه وأقر بلسانه وامتنع عن العمل بجوارحه أنه عاص لله ورسوله مستحق للوعيد، ولهذا يقول الأستاذ النورسي في تفسيره لقول الله عز وجل: ﴿وَبَشِّرِ الذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَات﴾ (البقرة: ٢٥) يقول: "وأما واو (وعملوا) فإشارة بسر المغايرة إلى أن العمل ليس داخلا في الإيمان كما قالت المعتزلة[١]. وإلى أن الإيمان بغير عمل لا يكفي. ولفظ العمل رمز إلى أن ما يبشر به كالأجرة.."[٢]

ثم يقول مبينا أهمية العمل للإيمان: "فشمس الأعمال القلبية "الإيمان"، والفهرسة الجامعة للأعمال القالبية "الصلاة" التي هي عماد الدين، وقطب الأعمال المالية "الزكاة" إذ هي قنطرة الإسلام"[٣].

ولنترك في آخر هذا المبحث الأستاذ النورسي يحدثنا عن ثمار الإيمان الدنيوية والأخروية التي بفضلها تكتسب الأمة الإسلامية معنى لوجودها وسط الإيديولوجيات والأفكار المضلة عن سواء السبيل حيث يقول في رسالته إلى نواب الشعب آنذاك: "إن الإسلام وشريعته الغراء هو المالك الحقيقي وصاحب العنوان المعظم.. والمؤثر الحق والمتضمن للعدالة المحضة.. ويحقق نقطة استنادنا.. ويرسي المشروطية على أساس متين.. وينقذ ذوي الأوهام والشكوك من ورطة الحيرة.. ويتكفل بمستقبلنا وآخرتنا.. وينقذكم من التصرف في حقوق الله بدون إذن منه، تلك الحقوق التي تضمن مصالح الناس كافة.. ويحافظ على حياة امتنا.. ويظهر ثباتنا وكمالنا ويحقق وجودنا أمام الأجانب.. وينقذكم من تبعات الدنيا والآخرة.. ويؤسس الاتحاد العام الشامل نهاية المطاف.. ويولد الأفكار العامة (الرأي العام) التي هي روح ذلك الاتحاد.. ويحول دون دخول مفاسد المدنية إلى حدود حريتنا ومدنيتنا.. وينجينا من ذل التسول من أوروبا.. ويطوي لنا المسافة الشاسعة التي تخلفنا فيها عن الرقي في زمان قصير بناءً على سرّ الإعجاز.. ويرفع من شأننا في زمن قصير بتوحيد العرب والطوران وإيران والساميين..

---

(١) ولكنهم خالفوا أهل السنة حينما أضافوا إليه اجتناب الكبائر وقالوا بتخليد مرتكبها في النار

(٢) إشارات الإعجاز ص١٩٨

(٣) إشارات الإعجاز ص ٥٠

ويظهر الشخصية المعنوية للدولة بمظهر الإسلام.. ويبطل الظنون الفاسدة التي تحملها أوروبا سابقاً.. ويحملهم على التصديق بان النبي محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء، وان الشريعة خالدة.. ويقيم سداً أمام الإلحاد الذي يدمّر المدنية.. ويزيل بصفحته النورانية ظلمة تباين الأفكار وتشتت الآراء .. ويجعل جميع العلماء والوعاظ متحدين في سبيل سعادة الأمة وتنقية إجراءات الدولة وخداماً للمشروطية المشروعة.. ويؤلف قلوب غير المسلمين ويربطهم به أكثر، فعدالته المحضة رحيمة.. ويبعث فينا النشاط في العمل للدنيا مع تذكر الآخرة والمحافظة عليها.. ويعلمنا الأخلاق المحمودة التي هي حياة المدنية ويفهمنا قواعد المشاعر النبيلة..

فإذا ما أظهرتم الإسلام وشريعته الغراء واتخذتموها أساسا لأحكامكم، وطبقتم دساتيرها، فمع اغتنام فوائد إلى هذا الحد هل تفقدون من شئ؟ والسلام"[١].

٢- ٢: مركزية الإيمان في فكر النورسي

لا غرو في أن تكون كلمة الإيمان في الجهود الإصلاحية للنورسي هي النواة التي تدور في فلكها كل كلمات المقاومة الفكرية من إصلاح وتربية وتعليم وأخلاق... تلك المقاومة التي أعلنها النورسي لإصلاح الحياة الدينية في تركيا بعد الهجمة الشرسة التي أسقطت الخلافة العثمانية بما كانت تحمله من مظاهر الإيمان والتدين تشريعا وممارسة.

ومما يجلي هذا الأمر ويدل عليه الحقيقة التي اتخذها النورسي كشعار ودثار لجهوده الإصلاحية وهي قضية "إنقاذ الإيمان" حيث يقول: " هكذا قررت، ذلك لأن خدمة إنقاذ الإيمان في مثل هذه الأحوال الصعبة والشروط القاسية هي فوق كل شئ"[٢]. ويقول في الشعاع الرابع عشر: "وحصرت وقتي في سبيل إنقاذ الإيمان فقط."[٣]

وما أجمل ما قاله النورسي تعبيرا عن السبب الذي جعله يحصر جهده في إنقاذ الإيمان حيث يقول: " إن أعظم خطر على المسلمين في هذا الزمان هو فساد القلوب وتزعزع الإيمان بضلال قادم من الفلسفة والعلوم. وإن العلاج الوحيد لإصلاح القلب وإنقاذ الإيمان إنما هو النور واراءة النور. فلو عُمل بهراوة السياسة وصولجانها وأُحرز

(١) صيقل الإسلام ص٥٢٥/٥٢٦

(٢) الشعاع الثالث عشر - ص: ٣٦٢

(٣) الشعاعات ص ٤٢٠

النصر، تدنى أولئك الكفار إلى درك المنافقين. والمنافق – كما هو معلوم – أشد خطراً من الكافر وأفسد منه. فصولجان السياسة إذاً لا يصلح القلب في مثل هذا الوقت، حيث يُنزل الكفر إلى أعماق القلب ويتستر هناك وينقلب نفاقا"[١].

ولعل الحقيقة التي لا يمكن أن يماري فيها أحد أبدا هي تلك الثمار الإيمانية اليانعة التي أنتجتها الشجرة الإصلاحية النورسية التي غُرست في تربة القرآن وتغذت من آياتها ومعانيها السامية الجميلة ويشهد لهذا الكلام أحد تلامذة[٢] النورسي إذ يقول: "أما أستاذنا مؤلف رسائل النور فقد أمضى حياته كلها في سبيل الإيمان وفي سبيل القرآن وتحمّل في هذا السبيل جميع أنواع الأذى والمصاعب، وحاول بنشره هذه الحقائق القرآنية في هذا العصر إنقاذ أبناء هذا الوطن المبارك من الهجوم الشرس للشيوعية ولكل أنواع الإلحاد، وإن الصفحة البيضاء لحياته الخالية من أي نقص تشهد بأنه موظف ومؤهل للقيام حالياً بهذه المهمة المقدسة فهو – حاشاه – لم يلقّنا دروساً غير أخلاقية، ولا دروساً في فن التخريب، بل لقننا دروساً في إنقاذ الإيمان، وهذا ربما يشكل أكبر غاية وأهم هدف للبشرية على سطح الأرض، إن قيامه منذ ما يقرب من خمس وعشرين سنة بمحاولة إنقاذ إيمان مئات الآلاف من الناس برسائل النور، ولاسيما من أمثالي من المساكين الذين لم نكن نعرف شيئاً عن الإسلام وإعطاءنا دروساً في الإيمان الذي هو السعادة القصوى والغاية من الحياة يعد دون شك فضلا إلهياً"[٣]

٣: الوجود

٣- ١: مفهوم الوجود عند النورسي

الوجود عند النورسي نوعان مطلق ونسبي، والمطلق هو الواجب الذي لا يتصور عدم وجوده، فهو ثابت الوجود في الأزل وإلى الأبد وهو الله عز وجل الذي تسمى بما يدل على هذه الحقيقة فسمى نفسه الأول والآخر، لذلك فإن وجود الله تعالى واتصافه بصفات الكمال والحسن حقيقة ثابتة في الأزل وإلى الأبد وهي مستقلة في ثبوتها عن وجود الإنسان وغيره من المخلوقات.

---

(١) اللمعات ص ١٥٨

(٢) اسمه مصطفى صونغور من مواليد ١٩٢٩ لازم الأستاذ النورسى في الحل والترحال وتتلمذ عليه حتى بلغ " الفناء في رسائل النور" كما قال عنه الأستاذ.

(٣) الشعاعات ص٦٠٠/٦٠١

أما الوجود النسبي فهو الممكن الذي يتصور عدم وجوده، وهو كل ما سوى الله عز وجل من مخلوقاته الكثيرة ومن بينها الإنسان وحول هذا المعنى يقول النورسي:

"أما موضوع "الإمكان" فقد قال المتكلمون: إنَّ "الإمكان" متساوي الطرفين، أي إذا تساوى العدم والوجود بالنسبة إلى شيء ما، فلابُدَّ من مخصّص ومرجّح وموجد.

لأن الممكن لا يمكنه بداهةً أن يُوجِدَ ممكناً آخر مثله. أي لا يمكنُ أن يُوجَدَ الممكنُ الآخر، لأنَّ وجوده يكونُ سلسلةً دائرةً مغلقة من "الممكنات". فلابدَّ إذن من "واجب الوجود " يوجِدُ الأشياء كلها"[١]..

وفلسفة الوجود عند النورسي تنبني على أسس إيمانية صاغت مبادئها الكلمات النبوية المعصومة في إجابات واضحة عن الثلاثية التي صدرنا بها هذا البحث من أين وإلى أين وبماذا ولماذا؟ ولبيان هذه الفلسفة يقول النورسي:

"لما توجه نوع البشر نحو المستقبل سأل فن الحكمة المرسل من قبل الكائنات، ومن جانب حكومة الخلقة مستنطقاً: يا بني آدم! من أين؟ والى أين؟ ما تصنعون؟ من سلطانكم؟ من أين مبدؤكم والى أين المصير؟. فبينما المحاورة، إذ قام سيد نوع البشر محمد صلى الله عليه وسلم وخطيبهم ومرشدهم: أيها السائل نحن معاشر الموجودات أتينا بأمر السلطان الأزلي، مأمورين ضمن دائرة القدرة الإلهية، وقد ألبسنا واجب الوجود المتصف بجميع صفات الكمال، وهو الحاكم الأزلي، حلة الوجود هذه، ومنحنا استعداداً هو رأسمال السعادة.. ونحن معاشر البشر ننشغل الآن بتهيئة أسباب تلك السعادة الأبدية.. ونحن على جناح السفر، من طريق الحشر إلى السعادة الأبدية. فيا أيتها الحكمة اشهدي وقولي مثلما ترين، ولا تخلطي الأمور بالسفسطة"[٢].

٣- ٢: الوجود وحرية الإنسان:

يعتقد كثير من المسلمين الذين لم يتشبعوا بروح الإيمان أن حريتهم تعني القفز على كل النظم والقوانين الأخلاقية، فيأتون أفعالا ويقومون بتصرفات لا تمت للإيمان بصلة وإن كانت في الحقيقة لا تنفي عنهم صفة الإسلام، وفي هذا الإطار يفهم حديث النبي

---

(١) الكلمات ص٨٢٦

(٢) صيقل الإسلام/محاكمات - ص: ١٥٨

صلى الله عليه وسلم الذي يقول فيه: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن."[١]

ولقد اهتم النورسي بهذه الظاهرة المرضية وتحدث عنها في رسائله مبرزا أن وجود الإنسان وحريته ينبغي أن يكونا محكومين "بالشهامة الإيمانية" حيث يقول: "الشهامة الإيمانية" المجهّزة بالشفقة والرأفة. أي: أن لا يرضى الذلّ لنفسه أمام الظالمين، ولا يلحقه بالمظلومين. وبعبارة أخرى: عدم مداهنة المستبدّين وعدم التحكم بالمساكين أو التكبّر عليهم، وهذا أساس مهم من أسس الحرية الشرعية"[٢].

ويرد على أولئك الذين فهموا الحرية بأنها التنصل من كل القيود سواء كانت أخلاقية أو استبدادية بأنهم مخطئون وهم بذلك يفتحون على أنفسهم بابا للاستبداد وإن كانوا يعتقدون خلاف ذلك فيقول: "وبخلافه فإن تفسير الحرية والعمل بها على أنها التحرر من القيود والانغمار في السفاهات والملذات غير المشروعة والبذخ والإسراف، وتجاوز الحدود في كل شيء إتباعا لهوى النفس.. مماثل لمن يتحرر من أسر سلطان واحد ويدخل في استبداد حقراء سافلين كثيرين. فضلاً عن أن هذا النمط من الحرية يظهر أن الأمة غير راشدة ومازالت في عهد الصباوة وليست أهلا للحرية. فهي سفيهة إذن تستحق الحجر عليها، بالرجوع إلى الاستبداد السابق البائد"[٣].

ويبين لهم بعد هذا الوصف الصحيح للحرية التي ينبغي أن يدعيها المسلم لنفسه ويجعلها عنوانا لوجوده فيقول: " ألا إن الحرية هي: أن يكون المرء مطلق العنان في حركاته المشروعة مصوناً من التعرض له، محفوظ الحقوق ولا يتحكم بعضٌ في بعض، ليتجلى فيه نهي الآية الكريمة ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِن دُونِ اللهِ﴾ (آل عمران: ٦٤) ولا يتأمّر عليه غير قانون العدالة والتأدب، لئلا يُفسِد حرية إخوانه"[٤].

المبحث الثاني: العلم والوظيفة الإيمانية للإنسان

خلق الله عز وجل الإنسان لغاية شريفة ومهمة نبيلة هي عبادته سبحانه بالطريقة التي شرعها له بواسطة الرسل الذين اصطفاهم من بين الناس، ولهذا فإن أي عبادة خارجة

(١) أخرجه البخاري في كتاب المظالم باب النهبى بغير إذن صاحبه عن أبي هريرة

(٢) صيقل الإسلام/الخطبة الشامية - ص: ٥٠٠

(٣) صيقل الإسلام/المحكمة العسكرية العرفية - ص: ٤٦٧

(٤) صيقل الإسلام/المناظرات - ص: ٣٩٤

عن هذا الإطار تعد باطلة ومرفوضة ومآل صاحبها العقاب في الآخرة أو في الدنيا والآخرة معا قال الله عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦). وقال منكرا على الذين عبدوه بغير ما شرع: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ﴾ (الشورى: ٢١) ولقد أرسل الله عز وجل الرسل إلى الناس حتى لا تكون عبادتهم له عشوائية تتحكم فيها الأهواء والنزوات بل تكون عبادة خالصة شرعت على مقتضى العلم والحكمة، وما أودع في الإنسان من استعدادات روحية وعقلية وجسمية، وهنا يكمن السر في الخاصية التي تميز بها آدم وجعلت الملائكة تسجد له تشريفا وتكريما وهو سر عظيم بسببه أنيطت بالإنسان وظيفة الخلافة في الأرض وحمل أمانة التكليف التي كلت عن حملها السموات والأرض ومنذ ذلك الحين ما أصاب الإنسانُ إلا بعلم وما أخطأ إلا عن جهل يقول النورسي:

"إن تعليم الإنسان – المالك لاستعداد جامع – علوماً كثيرة لا تحد، وفنوناً كثيرة لا تحصى حتى تستغرق أنواع الكائنات، فضلاً عن تعليمه المعارف الكثيرة الشاملة لصفات الخالق الكريم سبحانه وشؤونه الحكيمة.. إن هذا التعليم هو الذي أهّل الإنسان لينال أفضلية، ليس على الملائكة وحدهم، بل أيضا على السموات والأرض والجبال، في حمل الأمانة الكبرى"[١]. ويقول تعليقا على الآية التي تحدثت عن تعليم آدم من سورة البقرة "هذه الآية تذكر أولا حادثة جزئية هي: إن سبب تفضيل آدم في الخلافة على الملائكة هو " العلم " ومن بعد ذلك تذكر حادثة مغلوبية الملائكة أمام سيدنا آدم في قضية العلم، ثم تعقب ذلك بإجمال هاتين الحادثتين بذكر اسمين كليين من الأسماء الحسنى أنت العليم الحكيم بمعنى أن الملائكة يقولون: أنت العليم يا رب فعلّمتَ آدم فغلبنا وأنت الحكيم فتمنحنا كل ما هو ملائم لاستعدادنا، وتفضّله علينا باستعداداته"[٢].

ويرى النورسي أن العلاقة بين العلم والإيمان علاقة تكامل فالعلم خادم للإيمان، والإيمان دافع ومحفز للعلم، ولكن متى خرج العلم عن أطر الإيمان وضوابطه، أصبح وبالا على أصحابه من وجهة نظر الإيمان والعقول الصحيحة، وهذا الذي كان يتعوذ منه النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه الذي كان يقول فيه: "أعوذ بك من علم لا ينفع" وفي هذا المعنى يقول النورسي: "إن جميع أهل الاختصاص والشهود وجميع أهل

---

(١) الكلمات ص٢٧٠

(٢) الكلمات ص٤٨٩

الذوق والكشف من العلماء المدققين والأولياء الصالحين متفقون على أن زاد طريق أبد الآباد، وذخيرة تلك الرحلة الطويلة المظلمة ونورها وبُراقها ليس إلاّ امتثال أوامر القرآن الكريم واجتناب نواهيه، وإلا فلا يغني العلم والفلسفة والمهارة والحكمة شيئاً في تلك الرحلة، بل تقف جميعها منطفئة الأضواء عند باب القبر"[١].

ولكي يثبت النورسي لأولئك الذين أشاعوا شبهة التعارض بين طريق الإيمان وطريق العلوم المختلفة فقد قام بنقل شهادات كثير من العلماء الغربيين والمستشرقين المتخصصين في مختلف العلوم الذين اعترفوا بالإعجاز القرآني وضرورة أتباع طريق الإيمان الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ومنهم من أعلن إسلامه معترفا أن علمه أوصله إلى طريق الإيمان ومنهم الطبيب والعالم الفرنسي الشهير موريس بوكاي والكاتب الإنكليزي وليم بيكارد والمستشرق اللبناني فيليب حتي والقائد الفرنسي هنري ديكاستري وعالم الطبيعة والرياضيات البلجيكي جورج سارتون والطبيب الفرنسي غوستاف لوبون وغيرهم كثير.[٢]

المبحث الثالث: علاقة الإسلام بالعلوم الكونية

من المعلوم تاريخيا أن الكنيسة كانت تحارب العلم والعلماء وتقيم لهم محاكم التفتيش بتهمة الخروج على تعاليم الدين وممارسة السحر، لذلك صار من الأسس الهامة التي قامت عليها المدنية الغربية إنكارها للدين بوصفه منهج حياة صالح للحياة الدنيا وأعلن دعاة التحرر الفكري عندهم العداء بين الدين والعلم وحصروا الدين في بعض الطقوس التي يؤديها الناس في الكنيسة وما عدا ذلك فلا دخل للدين في حياة الإنسان وتصرفاته ومن هنا كانت طريقتهم في الحياة مبنية على قاعدة: "العلمانية وفصل الدين عن الدولة".

ولهذا عندما يقول الإمام محمد عبده بأن أوربا تركت الدين وتقدمت، فهو لا يقصد أي دين، وإنما يقصد الدين المسيحي المحرف، الذي كان سببا في مكوث أوربا قرونا طويلة في جنح الظلام، لأنه كان دينا سلبيا يحارب العلم ويحارب الدنيا ويدعو إلى نبذها، كما كان يدعو إلى تقبل الذلة والمسكنة وترك المجال للإقطاع يستحمر الناس

---

(١) الكلمات ص٢٩

(٢) ذكر الأستاذ شهادات واحد وثلاثين عالما في كتابه إشارات الإعجاز من ص٢٥٦ إلى ص٢٨٨

ويركب ظهورهم. أما وأن يأتي المفكر في العالم الإسلامي[١]، و يقول بأني أعلن الثورة على الدين والوحدة العقائدية للأمة، وأدعو إلى إحلال العلمانية والقومية كسبيل للخروج من الأزمة، فهذا هو الخطأ الفادح، الذي وقع فيه أصحاب هذا الفكر لأنهم كانوا مقلدين للغرب، ولم يكونوا ذوي أصالة، يستمدون أفكارهم من ثقافتهم ومعنوياتهم وظروفهم الاجتماعية الخاصة.

يقول شيخ الإسلام مصطفى صبري: "لأنهم قلدوا فيما افتعلوا بنا الانقلاب الفرنسي الكبير القاضي بتفريق الحكومة عن الكنيسة يدل عليه تصريحهم بفصل الدنيا عن الدين"[٢]

ومن هنا عندما يتساءل الإمام محمد عبده، عن سبب تقدم أوروبا مع تركها للدين وتأخر المسلمين عندما جاروها في ذلك[٣]، يجيب الأستاذ بأن السبب يكمن في أن الإسلام هو الذي يصنع تاريخ أمتنا وثقافتها وروحها ووجدانها وروابطها الاجتماعية[٤] أي هو الذي يصنع وجودها، ويقيم صرح حضارتها وديمومتها، فلا يمكن والحالة هذه مقارنته بالمسيحية أو مقارنة التجديد الديني في الإسلام بالإصلاح الديني في المسيحية.

يقول الأستاذ النورسي: "أما المانع الثامن، وهو أهم الموانع، والبلاء النازل فهو توهمنا - نحن والأجانب - بخيال باطل؛ وجود تناقض وتصادم بين بعض ظواهر الإسلام وبعض مسائل العلوم. فمرحى لجهود المعرفة الفياضة وانتشارها، وبخٍ بخٍ لعناء العلوم الغيورة، اللتين أمدّتا تحري الحقائق وشحنتا الإنسانية، وغرستا ميل الإنصاف في البشرية فجهزتا تلك الحقائق بالاعتدة لدفع الموانع، فقضت وستقضي عليها قضاءً تاماً.نعم! إن أعظم سبب سلب منا الراحة في الدنيا، وحرم الأجانب من سعادة الآخرة،

---

(١) هو يعيش في العالم الإسلامي، و لكن مشروعه غير إسلامي، مما يجعل انتسابه إلى الإسلام أمراً مشكوكا فيه، ولهذا ينبغي أثناء الحكم أن يكون المعيار مقيدا بأمرين ؛ هوية الفكر وهوية المفكر فلا نقول "مفكراً مسلماً" إلا من كان مسلم الهوية الفكرية والهوية الشخصية وبهذا نخرج أعمال المستشرقين و المستغربين من دائرة الفكر الإسلامي الإصلاحي، لأن المستشرق في حد ذاته ليس مسلما وأن كان فكره يحمل الهوية الإسلامية، والمستغرب كذلك يمكن أن يكون مسلما إلا أن فكره يحمل الهوية الغربية.

(٢) الأسرار الخفية...أ.د مصطفى حلمي ص١٥٢ دار ابن الجوزي القاهرة ١٤٢٧ه-٢٠٠٦م

(٣) أنظر: الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده ، تحقيق محمد عمارة - ج٣ ص ٢٤٩-٢٥٠ .

(٤) المصدر السابق ص ١٨٩.

وحجب شمس الإسلام وكسفها هو: سوء الفهم وتوهم مناقضة الإسلام ومخالفته لحقائق العلوم...فالإسلام سيد العلوم ومرشدها ورئيس العلوم الحقة ووالدها"[١].

ويرى النورسي أن القرآن الكريم قد تضمن بعض الإشارات إلى العلوم الكونية وما يمكن للإنسان أن يصل إليه من اختراعات واكتشافات، ولكن هذه الإشارات لا تعدو أن تكون مجرد إيماءات خفية لا تصريح فيها بعلم أو اختراع والسبب في ذلك أن القرآن كتاب إيمان وهداية ووظيفته الأساسية ليست الكشف عن الاختراعات التي سيصل إليها الإنسان وإنما وظيفته الأساس هي تعليم شؤون الربوبية والألوهية والعبودية وأحوالها وشروطها وفي هذا المعنى يقول: "إذا قلت: لما كان القرآن الكريم قد نزل لأجل الإنسان، فَلِمَ لا يصرّح بما هو المهم في نظره من خوارق المدنية الحاضرة؟ وإنما يكتفي برمز مستتر، وإيماء خفي، وإشارة خفيفة، وتنبيه ضعيف فحسب؟

فالجواب: إن خوارق المدنية البشرية لا تستحق أكثر من هذا القدر، إذ إن الوظيفة الأساسية للقرآن الكريم هي تعليم شؤون دائرة الربوبية وكمالاتها ووظائف دائرة العبودية وأحوالها. لذا فان حق تلك الخوارق البشرية وحصتها من تلك الدائرتين مجرد رمز ضعيف وإشارة خفية ليس إلاّ.. فإنها لو ادّعت حقوقها من دائرة الربوبية، فعندها لا تحصل إلا على حق ضئيل جداً[٢].

ولكن مع هذا الموقف من الإشارات العلمية في القرآن نجد النورسي نفسه يقع فيما فر منه من تحميل القرآن ما لا يحتمل من ذكر خوارق المدنية الحاضرة حين ينص على أن الآية القرآنية من سورة البروج "النار ذات الوقود..." أنها تدل بلا شك على القطار الذي لم يكن موجودا حين نزول القرآن يقول العلامة النورسي: "فعلى سبيل المثال: فقد أشار -أي القرآن- إلى القطار في الآيات الكريمة الآتية: ﴿قُتِلَ أصحاب الأخدود * النارِ ذاتِ الوَقُودِ * إذ هُم عليها قُعودٌ * وهُم على ما يفعلونَ بالمؤمنينَ شُهودٌ * وما نَقَموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيزِ الحميد﴾." [٣]

ومقابل هذا الكلام نجده في كتابه صيقل الإسلام يرد على الذين تشبثوا برأي ضعيف للإمام البيضاوي في تفسيره حين جزم بأن المقصود بالآية من سورة الكهف

(١) صيقل الإسلام ص٢٣

(٢) الكلمات ص٢٩٣

(٣) الكلمات ص٢٧٨

"بين الصدفين" أنهما جبلين بين أرمينيا وأذربيجان "ومن المقرر أنه: لا يدل العام على الخاص بأي من الدلالات الثلاث الخاصة[١]. فمثلاً: إن أعظم مجافاة للمنطق النظرُ إلى تأويل الآية الكريمة ﴿بين الصدفين﴾ (الكهف: ٩٦) في تفسير البيضاوي، نظرة جازمة أنه: بين جبال أرمينيا وأذربيجان. إذ هو أساسا ناقل. فضلاً عن أن تعيينه ليس مدلول القرآن، فلا يعدّ من التفسير. لأن ذلك التأويل تشريحٌ مستند إلى علم آخر لقيد واحد من قيود الآية الكريمة"[٢].

الخاتمة:

بعد هذا العرض الموجز لعلاقة العلم بالإيمان ودور هذه العلاقة في إعطاء معنى للوجود الإنساني في الدنيا من خلال فكر العلامة بديع الزمان سعيد النورسي رحمه الله نخلص إلى أن التعليم الهدائي والإيمان كلاهما كان مهددا من قبل القوى العلمانية التي أخذت مقاليد الحكم في تركيا بعد سقوط الخلافة العثمانية، وعليه فإن المقاومة الفكرية التي أعلنها النورسي كانت تروم تحقيق هدفين يتعلقان بالتعليم، أحدهما نقض وهدم الإشاعة القائلة بتعارض الإيمان مع العلم، والآخر إنقاذ الإيمان بواسطة التعليم الهدائي، ورغم المنهج الواضح الذي سلكه النورسي في دعوته والقائم على التزكية والتربية إلا أن الظروف التي مارس فيها دعوته كانت صعبة للغاية وكادت مواقفه في نصرة الحق أن توصله إلى حبل المشنقة كما ذكر في سيرته.

ومن ناحية أخرى فإن مركزية العلم والإيمان والوجود في فكر النورسي تظهر من خلال الحضور الدائم لهذه الكلمات في رسائل النور، حيث تتجلى علاقة العلم بالإيمان من خلال الوظيفة التي من أجلها وجد الإنسان في هذه الدنيا، وهي وظيفة التعلم وسلوك طرق الكمال به، كما حاول النورسي أن يثبت دائما أنه لا تناقض بين الإيمان وسائر العلوم بل العكس هو الصحيح إذ العلم خادم للإيمان والإيمان دافع ومحفز للعلم، وبين العلم والإيمان يعيش الإنسان في هذا الوجود حياة مطمئنة، لأن كل حركاته وسكناته ستكون محكومة بهذين الضابطين، وهذه هي الحياة التي أشار إليها المولى عز وجل بقوله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٩٧).

---

(١) دلالات المطابقة والتضمن والالتزام

(٢) صيقل الإسلام ص٤٤

قائمة المصادر المراجع:

١/ القرآن الكريم.
٢/ صحيح البخاري ومسلم.
٣/ الأسرار الخفية... مصطفى حلمي ص١٥٢ دار ابن الجوزي القاهرة ١٤٢٧ه-٢٠٠٦م.
٤/ أصول الدين الإمام البزدوي تحقيق هانز بيتر لنس ص ١٤٨ /١٥١ المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة ط/١٤٢٤ه-٢٠٠٣م.
٥/ الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، تحقيق محمد عمارة - ج٣ ص ٢٤٩-٢٥٠.
٦/ الإيمان بالله وأثره في الحياة عبد المجيد النجار دار الغرب الإسلامي ط١/ ١٩٩٧
٧/ بديع الزمان النورسي وإثبات الحقائق الإيمانية عمار جيدل ط١
٨/ التعليم في ضوء فكر سعيد النورسي إبراهيم أبو محمد شركة سوزلر للنشر مصر ط١/ ٢٠٠٢م
٩/ رسائل النور للعلامة بديع الزمان النورسي "النسخة الإلكترونية".
١٠/ شرح العقيدة الطحاوية ابن أبي العز الحنفي تحقيق أحمد محمد شاكر ص٢٦٥ دار التراث القاهرة
١١/ كتاب التعريفات الجرجاني ص١٧٠ دار الإيمان الإسكندرية ط/٢٠٠٤م
١٢/ النورسي متكلم العصر محسن عبد الحميد شركة سوزلر للنشر القاهرة ٢٠٠٢م